

## رسائل

## صباة حنظلة

## تبسم

«الطائرة في السماء تحمل الأحياء وتمضي. لا ترانا، ونراها كالنجم المنطلق. لماذا نراها عادة فوق البحر؟ عندما تلتقي لا تكن لطيفاً. لا تكن ناك والحيّة وحدكم. ما زلت تعاني من أمس حيث كنت لطيفاً مع أرضك والقادمين، فدخل الأعداء وبقوا وأخرجوك أنت.

ما زلت تعاني من أمس عندما كنت لطيفاً مع هؤلاء خارج منزلك. وأدرت النتائج: مجازر بحق في كل مكان وأنت خارج المكان، وطعن بجفنتك التي لا تنام. فالجبار هذا يبدو ساكناً هامداً، لكنك تعلم أنه يولد مع كل شروق شمس أو غيابها. ليس سرّاً أنني أحب حبيبتني ولا اشاطر هذا الحب أحداً. ليس سرّاً أن الفلاح يعشق الأرض وأن غسان وناجي وكارلوس وأبو جهاد وكوزو أو كاموتو وغيرهم كثر، أحبوا الأرض ورفضوا ما يسمى المنطق. ليس سرّاً أنني أرسل نفسي ما تبوح به. ليس عجباً إن بدا سلوك الفلسطيني نفسه أينما كان. ليس سرّاً أن العالم يدرك فلسطين وحقيقة الكيان الغاصب. سقطت أسطورة صغير الحجم الذي ينتصر على الجبار. سقط ذلك التعاطف الكريه. فنحن ما نحن عليه. نكرم الضيف وعند التعدي على أحبائنا نقدم أنفسنا قرباناً لأرضنا في ساحات المعركة وفرساناً وفارسات يعودون منتصرين ومنصترات، جاهزين وجاهزات أبداً للجولات الآتية. أطلقوا علينا ما شئتم من أسماء، فنحن ما نحن، هناك روحنا فلسطين. وهناك تحتاج الأرض لناسها. إلا تسمعونها تنادينا عند كل مطر وعند كل حصاد؟ عند كل شروق وغيباب؟ ألا تسمعونها تصرخ رفضاً لتلك الأسماء الغريبة التي تطلق عليها غصباً وهي لم تلدنا؟ فالأرض تلد اللغة مثلما تلد المقاتلين والأحياء». هذا ما قاله لي المقاتل، ثم وشوش نفسه وقال:

«وفي الحرب لا تغضب، فعندما تزرع الغضب الأعمى؛ تحصدنا فاشلة الأهداف. تزرع الهدوء الأسمى؛ تحصدنا ناجحة الخطوات، وتباعاً الأهداف أيضاً. التناقضات واضحة وظاهرة الملامح وسحرها خداع. فالأقرع الذي يعدل شعره لا يعدل شعراً بل شعوراً.

والسماة عندما تمطر في آب، لا تمطر برداً أو صقيعاً بل حرّاً ولهبياً. ولئن قتل مراراً ثم عاش؛ لماذا لا تجمعها مثل جبال من رمال في الصحراء. قد تزول يوماً، لكنها علامات فارقة مثل البعض، كانوا وبقوا بعد الرثاء.

وفي الحرب أيضاً تبسم. ما زلت تحمل بارودتك التي فرغت من الرصاص، لا تياس ولا تحزن. ولا تحسب حساباتك بالهجري أو الميلادي أو أي من تلك السخافات. فللبارودة وقت أت، ودفء وامتلاء، لا يملية نظام أو توقيت أو حساب».

شاهد عيان - مخيم برج البراجنة

## قد تبسم

«تلك العيون التي تقاوم الرصاص لا تموت. تمتص الحياة من كل رصاصة تخترق جسداً بغية سلبه حياته، وتنتقل إلى الأبد، لتعطي روح مقاتل قديم جسداً جديداً وثورة جديدة». ظل يردد لنفسه ولئن معه، لا بد من أن يستمروا، وأن يستمدوا القوة من أي مكان ممكن، من الغائبين والشهداء، ولو من بطونهم الفارغة. مررنا بتونس البارحة، اليوم القاهرة، ربما بيروت غداً، ومن يدري، فقد يصدق المثل القائل «الحبل ع الجرار». هو أيضاً لم يتم، ظل يراقب نجماً هاوياً، ويسأل نفسه، لو تمنى أمنية ما فهل حقاً تتحقق؟ لكنه لم يتم شيئاً، قرر أن يتوقف عن التمني ويبدأ بالعمل لتحقيق أحلامه التي بلغت من العمر عتياً. قبل اليوم لم يكن مؤمناً، لكنه لم يفعل شيئاً سوى الصلاة والدعاء والبقاء. اليوم قرر أن يؤمن بنفسه، بالثورة والتغيير، بأنه إذا أراد شيئاً يمكنه أن يجعل منه حقيقة لو أرادها فعلاً، فما عليه إلا أن يبدأ، قرر أن يتوقف عن الصلاة ويبدأ بالعمل. قتلوه مراراً، لكنه لا يموت، عمره أطول من موتهم. كان يشاهد كل مرة يقتلونه، ثم يُبعث من جديد، ليشاهد موته مرة أخرى. اليوم قرر أن يعيش إلى الأبد، أن يقتلهم إذا حاولوا إيقافه، أن يشاهدهم وهم يطعنون جثته المعلقة على صفحات التاريخ مزة تلو مرة، فيضحك ويقاوم متبسماً. التحرير هو هدفه والثورة طريقه، وكل أمر آخر لم يعد يعنيه!

أما أنا فأتحدث عنه كأنه بطل خيالي، أو شخصية أسطورية من حلم وردني ما، لكنه واقعي إلى أبعد حد، يسكن في كل واحد فينا، بسكتنا أحياء وأمواتاً، يقظين ونياماً، فرادى وجماعات وأمماً، فحقيقة الأمر أنه نحن.

«عمر الدول أطول من عمر الناس»، كانوا يلقونها للناس سابقاً، يطعمونهم الخوف والجوع، يملأون بطونهم جوعاً وأفواههم خوفاً. من اليوم فهموا جميعاً، كل أولئك الذين يكونونه مجتمعين، أن «عمر الرجال أطول من عمر الدول»، لأن «عمر الشعوب أطول من عمر حكامها»!

لم أره يبتسم منذ الأزل، لكني الآن أرى ابتسامة خفيفة ترتسم على شفثته، ابتسامة بدأت في تونس، وانتقلت إلى القاهرة، وربما، من يدري..

أنهار حجازي - الجليل

## تقرير

## ... والأونروا تؤلف لجنة تحقيق

توفيت شادية خواص وهي تلد في مستشفى بلسم. الأم الصغيرة ليست الأولى ولن تكون الأخيرة. لكن، بما أن سياسة «التطيشط عن أرواح من توفوا لم تعد مفيدة، طالب الفلسطينيون بتأليف لجنة تحقيق حيادية ترفع تقريرها إلى الأونروا

## قاسم س. قاسم

تخوفها من تسييس التحقيق والضغط الذي يمكن أن تمارسه منظمة التحرير على الوكالة باتجاه عدم «فك» عقدها مع مستشفى بلسم بوصفه تابعاً لمؤسسة وطنية فلسطينية، ما يعكس على عائلات الموظفين في المستشفى.

أما خواص فلم تكن الأولى التي توفيت في المستشفى، فقد سبقتها حالات وفاة كثيرة نتيجة أخطاء طبية، ومنها ما حصل مع الطفلة روان التي توفيت بسبب «إعطائها الدواء بأنبوب المصل بدلاً من وضعه في المصل مباشرة»، على حد تعبير حنفي.

## عقود الاستشفاء

تتعاهد وكالة الأونروا مع مستشفيات الهلال الأحمر الفلسطيني بما هي مؤسسة وطنية فلسطينية تسهم في تشغيل يد عاملة فلسطينية. وكانت الأونروا قد رصدت أخطاء طبية عدة في هذه المستشفيات. يذكر أن تمويل جمعية الهلال الأحمر الفلسطيني في لبنان هو جزء من ميزانية منظمة التحرير الفلسطينية في لبنان، بينما تمويل الجمعية في الأراضي المحتلة هو من ميزانية وزارة الصحة الفلسطينية. هكذا، بسبب ضعف إمكانيات مستشفيات الهلال، تعاقبت الوكالة مع مستشفيات لبنانية في منطقة صور، منها مستشفى أحيارم.

«وين بتشتغل يماً؟ بالهلال الأحمر الفلسطيني؟ يلاً يماً بسيطة الشغل مش عيب». نكتة غير مضحكة تعكس الواقع السيئ الذي يعيشه العاملون في مرافق جمعية الهلال الأحمر، وهو ما يعكس سلباً على الخدمات الاستشفائية للمرضى. بل إن متابعين لعمل الجمعية يرون أن إحباط بعض الأطباء الفلسطينيين ومرتباتهم المنخفضة يدفعهم إلى «إهمال بعض الحالات وارتكاب أخطاء طبية مميتة»، كما يقول لـ «الأخبار» محمود حنفي، المدير العام لجمعية شاهد لحقوق الإنسان. وبرزت من بين الأخطاء حالة الشابة شادية خواص التي توفيت بعد ولادة ابنها في مستشفى بلسم في مخيم الرشيدية، وفاة خواص حركت مسؤولي الفصائل الفلسطينية باتجاه وكالة الأونروا على الرغم من أن المستشفى تابع للهلال الأحمر الفلسطيني، وذلك لمطالبتها بتأليف لجنة طبية حيادية للتحقيق بالأسباب. لكن اللجنة لم تبصر النور بعد على الرغم من عود الوكالة الدولية بذلك، وكل ما فعلته هذه الأخيرة، بحسب حنفي، هو «تأليف لجنة أولية تضم ثلاثة أطراف هم «مندوب عن الهلال الأحمر الفلسطيني، المسؤول الصحي للأونروا في منطقة صور حمد حيدر، ومندوب عن مستشفى جبل عامل الذي كانت خواص ستنقل إليه لتلقي علاجها النهائي».

لم تشف مثل هذه اللجنة غليل مسؤولي الفصائل التي أعلنت

## بعدسة أهلها



أراد الفتى أن ينهي الانقسام الحاصل بين فتح وحماس. نزل إلى شوارع غزة في 15 آذار الماضي ليطلب بذلك. الفتى كتب اسم فلسطين على جبهته وحمل على كتفيه قريبه، يريد أن يبقى فلسطين مرفوعة فوق جميع الهامات. فهذا الاسم من المفترض أن يوحد الجميع. لكن من المؤكد أن الغزوي الصغير عندما يكبر لن يكون هناك فتح وحماس بل فلسطين. (تصوير شعيب أبو جهل)

المراوغة: «ما يحدث في ليبيا هو شأن داخلي خاص بها وتمني السلامة للشعب الليبي». ولم تختلف مواقف الأحزاب اليسارية والإسلامية الفلسطينية كثيراً، فقبل إعلان تنحي الرئيس المصري حسني مبارك عن منصبه، لم يجروا أحدهم على اتخاذ موقف سياسي أو إعلامي واضح ضد سقوط النظام المصري أو معه: حكومة حركة حماس في غزة كانت قلقة على مصالحتها مع النظام السابق، وهو ما اتضح في إخمادها أي أثر يدل على تأييد الغزبين لخلع الرئيس، وفي إعلان مباركتها الزائفة للشعب المصري في ما بعد على إنجاز العظم: فيما كان كل فرد من أفراد حكومتها في غزة وأمن السلطة في رام الله يقيم تظاهرات التضامن والاحتفاء.

لكن يبدو أن تعريف نابليون بونايرت للديكتاتور بأنه «الحاكم الذي يحوز ثقة الأمة وتأييد الرأي العام، حتى آخر دقائق ما قبل سقوطه» يثبت فاعليته.

